



إيران ونهاية زمن التذاكي على أميركا

من "حزب الله" للدفاع عن نظام بشار الأسد وتغيير التركيبة الديموغرافية في مناطق معينة، على رأسها دمشق ومحيطها وكل الشريط الحدودي اللبناني - السوري، فضلا عن الذهاب إلى حلب وجوارها؛ الجواب أن فلاذيمير بوتن، جاء إلى دمشق في سوريا باتت في عهده روسيا ولا أحد غيرها، وأن كل الضمانات المطلوبة لإسرائيل هي في عهده موسكو ولا أحد غيرها.

استثمرت إيران في الخراب، على الرغم من ذلك، يظل نظامها غير قابل للتغيير، خصوصا أنها تعتقد أن لدى "الجمهورية الإسلامية" ما تقدمه لجيرانها وما هو أبعد من جيرانها، أي إلى اليمن على سبيل المثال وليس الحصر.

جاء وقت مواجهة الحقيقة. هناك ما هو أبعد من تصفية قاسم سليماني. هناك عودة لإيران إلى أخذ حجمها الطبيعي والتخلي عن وهم القوة العظمى في المنطقة. لا يبدو أن ذلك مقبول في طهران ذات الشهية المفتوحة على المزيد من النشر للبؤس في غير بلد عربي.

نعم، لا يمكن لإيران أن تتغير لأن أي تغيير يعني اعترافا بالفشل من جهة، واعترافا بالشعب الإيراني وطموحاته من جهة أخرى. إن آخر ما يهيم الشعب الإيراني هو الانتقام لقاسم سليماني الذي تبين أن كل استثماراته خارج الحدود الإيرانية كانت من النوع الذي لا فائدة تذكر منه. حسنا، خاضت إيران الحرب على الشعب السوري إلى جانب بشار الأسد، أي مستقبل لبشار بعد كل الذي حل بسوريا. بل أي مستقبل لسوريا؟

لنضع العراق جانبا، ما الفائدة من استثمار مليارات الدولارات في "حزب الله" غير إيصال لبنان إلى حال الإنهيار التي وصل إليها، في حين أنه كان يستطيع الاستفادة من موقعه الجغرافي ومن احتضان العرب له بدل أن يكون بلدا معزولا يبحث عن أصدقاء كما الحال الآن.

لا شيء ينجح مثل النجاح. هذا ما لم تستطع "الجمهورية الإسلامية" استيعابه. لم تستوعب خصوصا أن نشر الخراب والبؤس لا يمكن أن يكون سياسة، وأن إنشاء ميليشيات مذهبية في هذا البلد أو ذاك لا يمكن إلا أن يرتد على صاحب فكرة هذه الميليشيات. ليس ما ينفخ إيران "الجمهورية الإسلامية" في شيء قبل التصالح مع شعبيها أولا.

إيران لم تستوعب أن نشر الخراب والبؤس لا يمكن أن يكون سياسة، وأن إنشاء ميليشيات مذهبية في هذا البلد أو ذاك لا يمكن إلا أن يرتد على صاحب فكرة هذه الميليشيات

عن كل ما حققته من انتصارات منذ العام 2003 تاريخ الاجتياح الأميركي للعراق وإسقاط نظام صدام حسين. كان العراق الجائزة الكبرى بالنسبة إلى إيران. حققت إيران حلما تاريخيا بالانتقام من العراق، خصوصا بعد انتقال قادة ميليشيات مذهبية عراقية حاربت إلى جانب "الحرس الثوري" إلى بغداد على ظهر دبابة أميركية. في ظل هذه المعطيات، يستحيل على إدارة دونالد ترامب التعاطي مع إيران كما لو أنها تتعاطى مع دولة طبيعية يمكن الأخذ والرد معها.

اندلعت تلك الحرب في أيلول - سبتمبر 1980 وانتهت صيف العام 1988 بإعلان آية الله الخميني "المرشد" وقتذاك تجرع كأس السم. كان هناك دائما خلاف على التاريخ الحقيقي لاندلاع تلك الحرب. يعتبر العراق، حين كان صدام حسين رئيسا للجمهورية أنها اندلعت في الرابع من أيلول - سبتمبر، عندما راحت "الجمهورية الإسلامية" المعلنه حديثا تتحرش بالعراق عسكريا على طول الحدود بينهما. في المقابل تعتبر إيران أن البداية كانت بالهجوم الواسع الذي باشره الجيش العراقي في الثاني والعشرين من ذلك الشهر، وهو هجوم غلظ صدام حسين بخبرته السياسية المحدودة بما يدور خارج حدود العراق، أنه سيؤدي إلى هزيمة عسكرية سريعة لإيران وسقوط النظام الجديد.

ما حدث، عمليا، أن "الجمهورية الإسلامية" كانت المستفيد الأول من تلك الحرب نظرا إلى أن الخميني الذي كان قام بانقلابه على الليبراليين والمعتدلين من الذين شاركوا في الثورة على الشاه وتخلص منهم الواحد تلو الآخر، استغل الهجوم العراقي إلى أبعد حدود. لا حاجة إلى استعادة لتفاصيل الأحداث التي شهدتها إيران منذ عودة الخميني ورحيل الشاه، بما في ذلك التخلص من حكومة مهدي بازرگان بموازاة احتلال السفارة الأميركية في طهران واحتجاز دبلوماسيينها طوال 444 يوما ابتداء من تشرين الثاني - نوفمبر 1979.

لا يستطيع النظام الإيراني إلا أن يكون متشددًا. لا شيء سوى لأنه ليس لديه أي خيار آخر، أي خيار أن تكون إيران دولة طبيعية. لو كانت دولة طبيعية، لكانت عثرت على صيغة تعايش مع العراق بدل متابعة زرع الخراب والدمار طوال تلك السنوات الغمائي للحرب من أجل إحياء الروح الوطنية الفارسية والتخلص من الجيش النظامي، جيش الشاه، عن طريق إرساله إلى جبهات الحرب. منذ انتهاء الحرب العراقية - الإيرانية، وهي حرب انتهت بنسبه انتصار عراقي، لم يتغير شيء في "الجمهورية الإسلامية" التي اعتقدت أن في استطاعتها دائما التذاكي على الإدارات الأميركية المتلاحقة. أكثر من ذلك، لا يمكن لإيران التراجع

خير الله خيرالله
إعلامي لبناني

ليس في استطاعة النظام الإيراني تغيير جلده. يعود ذلك إلى أن هذا النظام قام أصلا على فكرة "تصدير الثورة" وعلى رفض الاعتراف بالشعب الإيراني وطموحاته. تؤكد ذلك الكوارث التي حلت بالمنطقة كلها وبإيران نفسها. وفي مقدم هذه الكوارث تاتي الحرب العراقية - الإيرانية.

اندلعت تلك الحرب في أيلول - سبتمبر 1980 وانتهت صيف العام 1988 بإعلان آية الله الخميني "المرشد" وقتذاك تجرع كأس السم.

كان هناك دائما خلاف على التاريخ الحقيقي لاندلاع تلك الحرب. يعتبر العراق، حين كان صدام حسين رئيسا للجمهورية أنها اندلعت في الرابع من أيلول - سبتمبر، عندما راحت "الجمهورية الإسلامية" المعلنه حديثا تتحرش بالعراق عسكريا على طول الحدود بينهما. في المقابل تعتبر إيران أن البداية كانت بالهجوم الواسع الذي باشره الجيش العراقي في الثاني والعشرين من ذلك الشهر، وهو هجوم غلظ صدام حسين بخبرته السياسية المحدودة بما يدور خارج حدود العراق، أنه سيؤدي إلى هزيمة عسكرية سريعة لإيران وسقوط النظام الجديد.

ما حدث، عمليا، أن "الجمهورية الإسلامية" كانت المستفيد الأول من تلك الحرب نظرا إلى أن الخميني الذي كان قام بانقلابه على الليبراليين والمعتدلين من الذين شاركوا في الثورة على الشاه وتخلص منهم الواحد تلو الآخر، استغل الهجوم العراقي إلى أبعد حدود. لا حاجة إلى استعادة لتفاصيل الأحداث التي شهدتها إيران منذ عودة الخميني ورحيل الشاه، بما في ذلك التخلص من حكومة مهدي بازرگان بموازاة احتلال السفارة الأميركية في طهران واحتجاز دبلوماسيينها طوال 444 يوما ابتداء من تشرين الثاني - نوفمبر 1979.

لا يستطيع النظام الإيراني إلا أن يكون متشددًا. لا شيء سوى لأنه ليس لديه أي خيار آخر، أي خيار أن تكون إيران دولة طبيعية. لو كانت دولة طبيعية، لكانت عثرت على صيغة تعايش مع العراق بدل متابعة زرع الخراب والدمار طوال تلك السنوات الغمائي للحرب من أجل إحياء الروح الوطنية الفارسية والتخلص من الجيش النظامي، جيش الشاه، عن طريق إرساله إلى جبهات الحرب. منذ انتهاء الحرب العراقية - الإيرانية، وهي حرب انتهت بنسبه انتصار عراقي، لم يتغير شيء في "الجمهورية الإسلامية" التي اعتقدت أن في استطاعتها دائما التذاكي على الإدارات الأميركية المتلاحقة. أكثر من ذلك، لا يمكن لإيران التراجع

خطأ بشري!

محمد قواس
كاتب سياسي لبناني

لا يهتم نظام الجمهورية في إيران بمصلحة إيران والإيرانيين. تعتبر الأنظمة الأيديولوجية نفسها "حقيقة مطلقة" وأنها لا تنتظر شرعية العامة (الجمامير) فهي طبيعتها والأقدر على تقرير مصائرهم. هكذا كانت أنظمة الاستبداد في العالم على مدى التاريخ، وخصوصا ذلك الحديث، فما بالك حين يتقدم النظام بصفته مقدسا يقوده ولي فقيه هو نائب صاحب الزمان. ما يهيم هذا النظام هو سلامة ذاته ومناعة بقائه حتى لو كان ذلك على حساب رهن البلد ومستقبله وعلى حساب الإيرانيين في مسائرهم ومصائرهم. والمعادلة بسيطة. النظام ليس آلية لإدارة البلد، وهو ليس وسيلة من أجل تحقيق برامج الرخاء والازدهار، وهو ليس وسيلة لتحقيق الهدف، بل هو الهدف بذاته الذي من أجله يصبح البلد وأهله تفاصيل هامشية.

لم يكن إسقاط الطائرة المدنية الأوكرانية خطأ بشريا. الأمر يأتي نتاج قيادة بشرية تشوق إيران إلى الاصطدام بالحدار تلو الحدار. لم تكن تلك القيادة في إيران مهتمة بامر المواطنين في إيران، على الأرض أو في الجو. أطلق الحرس الثوري صواريخه البالستية ضد قاعدتي عين الأسد وأربيل في العراق مستهدفا قوات أميركية. وبغض النظر عن الشكل "المدبر" للرد الإيراني على اغتيال الولايات المتحدة للجنرال قاسم سليماني، إلا أن احتمال أن يُقابل الرد الإيراني برد أميركي كان واردا.

وحتى منذ أيام أن اقتلت الخرطوم أجواها ومطارها بسبب إطلاق نار صافد بالقرب من ذلك المطار. المسألة ببساطة ومن أبجديات الأمن والأمان، فما بالك أن الأمر في إيران كان إطلاقا لصواريخ عابرة للحدود.

«أخلاق» جمهورية الولي الفقيه تبيخ عبر «خطأ بشري» تفجير طائرة مدنية في سماء عاصمة البلاد، ذلك أن منظومة الدفاع لا تملك موهبة التفريق بين طائرة مدنية وأخرى عسكرية أو صاروخ باليستي خبيث

ومع ذلك اتخذت القيادة الإيرانية، وربما من قبل أعلى سلطة في البلاد، قرارا بشريا بعدم إغلاق الأجواء في البلاد والاستمرار في فتح مطاراتها أمام حركة الإقلاع والهبوط وكان شيئا لم يكن. وعلى هذا فإن سقوط أي طائرة مدنية هو شبه حتمي في هذه الظروف سواء كان ذلك عبر نيران إيرانية، كما حصل مع الطائرة الأوكرانية، أو عبر صواريخ العدو "الحرام" الذي قد يرد احتمالا على صواريخ "حلال".

استقل الركاب طائرهم بسلام. كانوا واثقين، كما في مطارات العالم قاطبة، بأن في مطار الخميني من يعرف قواعد الأمان. لم يكن في خلد هؤلاء بان قرارا بشريا - سليلس لاحقا لركوب الخطأ البشري - اتخذ لإعدام كل ركاب الطائرة الإيرانية المنكوبة. قيل في تفسير أمر هذا القرار إن طهران تعمدت المحافظة على أنشطة مطاراتها لعل في حركة الملاحاة المدنية ما يشكل دروعا بشرية تقي مواقع البلاد العسكرية شرور قرار تأخذه الولايات المتحدة برد مزملز على رد أرائته طهران خجولا غير مزملز ضد القاعدتين الأمريكيتين.

في ثنانيا تلك الفرضية أن "أخلاق" العدو ستردعه عن شن هجمات صاروخية قد تصيب طائرات مدنية تحلق من وإلى مطارات إيران. وفي تلك الثنانيا أيضا ما اتضح لاحقا من أن "أخلاق" جمهورية الولي الفقيه تبيخ عبر "خطأ بشري" تفجير طائرة مدنية في سماء عاصمة البلاد، ذلك أن منظومة الدفاع لا تملك موهبة التفريق بين طائرة مدنية وبين طائرة عسكرية أو صاروخ باليستي خبيث.